

التعلم من حركة إنقاذ العقول: إعلام السياسات وتوسيع نطاق الطفولة المبكرة

إنقاذ العقول شراكة متعددة المؤسسات والمانحين تقودها منظمة التحديات الكبرى بكندا التي منحت 84 منحة لمشاريع الابتكار في 31 من البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط بين عامي 2011 و 2017¹. الهدف العام لحركة إنقاذ العقول هو تطوير طرق مستدامة وقابلة للتوسع لرعاية نمو الدماغ السليم في أول 1000 يوم من الحياة. من خلال الدعم التقني وتطوير القيادة، توفر حركة "إنقاذ العقول" فرصة إثبات صحة الفكرة، و"لمنح" الانتقال إلى نطاق أوسع، التي تقدم تدخلات مختارة نحو نطاق واستدامة أكبر.

باعتبارها واحدة من أكبر الاستثمارات في تدخلات الطفولة المبكرة في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط (ميلنر وآخرون، 2016)، إن ملف إنقاذ العقول لديه إمكانيات فريدة لزيادة الفهم بما يتعلق بالعمليات نحو التوسع. في حين لم يتم تصميم الملف بحيث يستكشف جميع الخطوات من إثبات لفعالية التدخل إلى تنفيذ للسياسات والبرامج، فقد تم تطويره حول نظرية التغيير على مستوى الملف وإطار المراقبة المنظمة لتقييم التقدم على طول هذا المسار. حتى في منح "البذور"، تم تشجيع الفرق على النظر في العوامل ذات الصلة بالتوسع. على هذا النحو، توفر حركة إنقاذ العقول فرصة فريدة لاستكشاف الأسئلة حول تنفيذ تدخلات تنمية الطفولة المبكرة في ظروف متنوعة مع زيادة التركيز على التوسع.

يقوم بذلك في لحظة حرجة لتنمية الطفل المبكرة. يتزايد الاهتمام العالمي، من أهداف التنمية المستدامة (الأمم المتحدة، 2015)، إلى سلسلة لانسييت "التقدم بتنمية الطفولة المبكرة: من العلم إلى المقياس" (بريتو وآخرون، 2017؛ دايلمانس وآخرون، 2017؛ ريختر وآخرون، 2017)، إلى تقرير اليونيسف للتحديات المبكرة مهمة لكل طفل، وإطار تنمية الرعاية من أجل تنمية الطفولة المبكرة الذي تم إطلاقه، وتقوده اليونيسف ومنظمة الصحة العالمية وبدعم من الشراكة من أجل شبكة العمل المتعلقة بصحة الأم والمولود والطفل وتنمية الطفولة المبكرة (اليونيسف، 2017؛ منظمة الصحة العالمية واليونيسف، 2018).

هناك الآن فرصة لترجمة هذا الاهتمام العالمي إلى تطبيق واسع النطاق في بلدان متعددة. قام تحليل للسّمات التي تؤثر على فعالية شبكات الصحة العامة العالمية في توجيه العمل ضد التحديات المستهدفة بتحديد السياق السياسي العالمي، والنمو في أعداد الجهات الفاعلة والتطورات في مقياس تنمية الطفولة المبكرة، باعتبارها ملائمة

كيت ميلنر

بروفيسور مساعد،
مركز صحة المراهقين
والصحة الإنجابية،
مدرسة لندن للصحة
والطب الاستوائي،
لندن، المملكة المتحدة

بيا بريتو

مستشار أول، تنمية
الطفولة المبكرة،
اليونيسف، نيويورك،
الولايات المتحدة
الأمريكية

تارون دوا

مسؤولة طبية،
قسم الصحة العقلية
وإدمان المواد المخدرة،
منظمة الصحة
العالمية، جنيف،
سويسرا

كارلي سيلفر

نائب رئيس البرامج،
التحديات الكبرى
بكندا، تورنتو، كندا

جوي إي لاون

بروفيسور، مدير،

مركز صحة المراهقين

والصحة الإنجابية،

مدرسة لندن للصحة

والطب الاستوائي،

لندن، المملكة المتحدة

ولكن أيضاً باعتبارها تحديات مستمرة - لا سيما في وضع الأطر اللازمة والحوكمة (شيفمان وآخرون، 2017؛ شاوار وشيفمان، 2017).

في عام 2016 - 2017 ، أجرت كلية لندن للصحة والطب الاستوائي تقييماً مشتركاً للتأثيرات والعمليات المختلطة في 39 تدخلاً في ملف إنقاذ العقول. وكان هدفها الأساسي هو فهم دروس البرمجة والسياسة والبحث المستفادة لتوسيع نطاق التدخلات عبر السياقات (ميلنار وآخرون، 2016). باستخدام مصطلحات إطار تنمية الرعاية الخاصة بمنظمة اليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية، ركزت نسبة 84٪ من التدخلات في الملف على تقديم الرعاية المستجيبة؛ ومنهم، تم تقديم 63٪ من خلال النظام الصحي، و25٪ من خلال مرافق التعليم المبكر و12٪ في المجتمع. من بين جميع التدخلات، ركز 49٪ على التغذية و/أو الصحة، ونسبة أقل (9٪) على سلامة الأطفال وأمنهم (ميلنر وآخرون، 2016). نقترح ثلاث طرق يشير لها ملف إنقاذ العقول إلى فرص لتعزيز العمل والتغلب على التحديات المتعلقة بالتطبيق على نطاق واسع.

1 توسيع نطاق الشبكات ودعم تطوير القيادة مع أخذ التوسع في عين الاعتبار

يقوم إنقاذ العقول بالاستثمار بفرق في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل التي يأتي أعضاؤها من خلفيات مهنية متنوعة تمثل مجموعة من القطاعات، وفي المقترحات التي تدمج النماذج العلمية والاجتماعية والتجارية (إنقاذ العقول، 2018). في حين أن عدداً من شبكات تنمية الطفولة المبكرة الأخرى مدعومة الآن من الممولين الرئيسيين، إلا أن إنقاذ العقول فريد من نوعه في رسمه المتعمد للعناصر الفعالة الجديدة، بما في ذلك الأكاديميين، لاستكشاف التنفيذ والانتقال إلى نطاق أوسع في بيئات متنوعة. تحتاج الشبكات في مرحلة الطفولة المبكرة إلى التوسع لتشمل مستهلكي المعلومات، وليس فقط منتجيها، حتى يكون للأدلة تأثير أكبر في التنفيذ.

حيث أن إبداء الرأي والنقد البناء النوعي من خلال تقييم ملف إنقاذ العقول سلباً الضوء على قيمة الاستثمار في تطوير القيادة المحلية لتنمية الطفولة المبكرة. قدّم إنقاذ العقول للفرق من البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل برنامج منظم لتطوير القيادة خلال تطوير الاقتراح ودورة المنح. شمل ذلك ندوات وورش عمل، والوصول إلى مجموعة واسعة من الخبراء التقنيين، وبدرجات متفاوتة، التعلم من الأقران من خلال اجتماعات مجتمع إنقاذ العقول. ومن أجل التقدم للأمام، سيكون من المهم دعم الفرص المتاحة للتعلم بين الأقران والاستثمار في تطوير القيادة بعيداً عن المواعيد الزمنية لدورات المنح.

2 تحديد التحديات بوضوح أكبر والسعي نحو الحلول

تم تحديد "الأطر اللازمة" أو "توليد الإجماع الداخلي حول تعريف المشكلة والحلول" على أنه تحدٍ لفعالية شبكات تنمية الطفولة المبكرة العالمية في التقدم (شاوار وشيفمان، 2017). يمتلك هذا المجال تاريخاً من التسميات المتضاربة، والتعريفات المتغيرة، والثنائيات المصطنعة (مثل الصحة مقابل التعليم، والتطور مقابل العجز، وتنمية بقاء الطفل على قيد الحياة). كانت القوة الرئيسية في ملف إنقاذ العقول، التي تتعكس في إبداء الرأي والنقد البناء النوعي، هي أنها قدمت «لغة مشتركة» من خلال متطلبات التدريب والتقارير.

1 التحديات الكبرى
كندا (ممولة من قبل
الحكومة الكندية)
قامت بتمويل تقييم
المجموعة الموضحة
في هذا المقال. إنقاذ
العقول هي شراكة
بين "التحديات
الكبرى بكندا"
ومؤسسة أغا خان
بكندا ومؤسسة
برنارد فان لير
ومؤسسة بيل ومليندا
غيثس ومؤسسة
"إلما" والتحديات
الكبرى في إثيوبيا
ومؤسسة ماريا
سيسيليا سوتو
فيديجال ومؤسسة
"باليك" و"يو بي إس
أوبتيوموس" ومؤسسة
ورلد فيجن كندا.
لمزيد من المعلومات،
يرجى زيارة:
www.grandchal-
lenges.ca/programs/
saving-brains/.

وكما قال أحد مديري برامج الطفولة المبكرة في إحدى المنظمات غير الحكومية الدولية الرائدة، فإن "إنقاذ العقول قد هز الميدان حقاً... ساعدنا على التحدث بلغة مشتركة." على سبيل المثال، تقاسم المعرفة حول أجندة "رأس المال البشري" والأساس المنطقي للاستثمار في تنمية الطفولة المبكرة حيث كان يعتبر عدد من أصحاب المصلحة أن تأييده مهم عبر القطاعات داخل سياقات بلدانهم (ميلنر وآخرون، 2016).

ومع ذلك، لا يزال هناك عدم وضوح في بعض القضايا، مع وجود تحدٍ خاص يتمثل في الانفصال بين اللغة المستخدمة من قبل الباحثين والمشاركين في التنفيذ. على سبيل المثال، يميل الباحثون لمناقشة أنواع التدخل واسعة النطاق (على سبيل المثال "برامج الرعاية الوالدية") أو المناهج المحددة، في حين أن المنفذين حريصون على الحديث عن مكونات تدخل محددة (ميلنر وآخرون، 2016؛ برييتو وآخرون، 2017). كما سبق ليوسفزاي وعبود أن اقترحوا (2014)، حيث أن التركيز على السياسات والتحويلات في البرامج بحاجة إلى تعريف أوضح لـ "ماذا" و "كيفية" التنفيذ. يجب وصف مكونات التدخل الحرجة عملياً وبقدر أكبر من التفاصيل.

"مع أهداف
التنمية المستدامة،
هناك اهتمام
متزايد لتنمية
الطفولة المبكرة
وفرصه لترجمتها
إلى تطبيق واسع
النطاق في بلدان
متعددة"

سيكون من المهم الحصول على إجماع أكبر على التعاريف الرئيسية لكل من التحدي والحلول، ودمجها في "حزم" موصوفة بوضوح لإمكانية تكييفها مع السياق، لضمان أن "الطلب" لصانعي السياسات والمبرمجين الذين يتحملون المسؤولية الأساسية عن التنفيذ واضح. إن تقرير اللحظات المبكرة مهمة لكل طفل (منظمة الأمم المتحدة للطفولة، 2017) وإطار تنمية الرعاية من أجل تنمية الطفولة المبكرة (منظمة الصحة العالمية واليونيسيف، 2018) فرصتان مهمتان لتوحيد صوتنا.

3 تحسين المعايير من أجل التأثير والمساءلة

ساهم إنقاذ العقول في التقدم مؤخراً في المقاييس العالمية لتنمية الطفل، بما في ذلك دعم تطوير التدابير على مستوى التعداد السكاني مثل المؤشرات التي تقودها منظمة الصحة العالمية لتنمية الرضع والأطفال الصغار ومؤشر التنمية المبكرة المبلغ عنه (ماك-كوي وآخرون، 2016). ومع ذلك، لا يزال المقياس في مختلف الأماكن يشكل تحدياً كبيراً مع التركيز على التنفيذ على نطاق واسع وهناك حاجة إلى استكشاف ووصف وقياس عملية التنفيذ (يوسفزاي وعبود، 2014).

طوّر إنقاذ العقول إطار للرصد والتقييم للمستفيدين من المنح منظماً حول "نظرية التغيير" على مستوى الملف الذي تضمن عوامل سياقية ومدخلات ومخرجات ونتائج في تنفيذ التدخلات، وتطلب من متلقي المنح تتبع المؤشرات. وكانت ردود الفعل النوعية من الفرق هي أن هذا الأمر كان مهماً وأدى إلى النظر في عوامل (مثل سياق السياسات) والتي لا يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار في مرحلة مبكرة من تصميم التنفيذ. ومع ذلك، تم تحديد العديد من التحديات أيضاً، بما في ذلك الاعتماد المفرط على تقرير الرعاية الوالدية لقياس النتائج، والعمليات المتضاربة لاستخدام أدوات القياس عبر الإعدادات، والقيود في نطاق النتائج التي تم قياسها، والتأكيد على نتائج المقطع العرضي قصيرة الأمد (ميلنر وآخرون، 2016). سمح الإطار بإشارات مبكرة للتأثير المحتمل الذي يمكن التحقق منه في مراحل لاحقة أكبر من الدعم (رادنير وآخرون، 2018).

كما أبرز أصحاب المصلحة في تقييم إنقاذ العقول أهمية توصيل نتائج تنمية الطفل بطريقة دقيقة ولكن ذات مغزى لأصحاب المصلحة الغير منغمسين في مجال الطفولة المبكرة. وعلى وجه التحديد، اعتبرت التدابير المؤقتة لإحراز تقدم في المسار نحو التأثير ذات أهمية، بالنظر إلى أن قياس النتائج طويلة الأمد في مجال تنمية الطفل يستغرق وقتاً طويلاً. لهذا يجب أن تكون القياسات دقيقة وممكنة على نطاق واسع.

شراكة متنامية

منذ تقييم الملف المبيّن في هذا التقرير، نمت شراكة إنقاذ العقول (إنقاذ العقول، 2018): مع المزيد من الاستثمارات، يجري الآن تصميم واختبار أكثر من 50 تدخلاً إضافياً. يوفر إنقاذ العقول تعلماً مفيداً، ولكن لا يوجد حلول سحرية: لتحسين الارتقاء بتدخلات تنمية الطفولة المبكرة مع تأثيرها في بيئات متنوعة تتطلب المشاركة خارج نطاق الشبكات التقليدية، بما في ذلك السياسة غير المتخصصة ومجتمع البرمجة، بالإضافة



△ الصورة: جوب روبنز / كيدوغو

إلى تعريف نقاط القرار في تصميم البرنامج والتنفيذ. هناك حاجة إلى أدلة لإثراء نقاط القرار لتوجيه الأسئلة الشائعة التي يثيرها المسؤولون عن التنفيذ، بما في ذلك الكوادر ومحتوى التدخل والتكاليف وكيفية قياس التغطية والجودة والنتائج بشكل روتيني لتحسين المساءلة في تتبع التقدم نحو تحقيق الأهداف.

المراجع

- Britto, P.R., Lye, S.J., Proulx, K., Yousafzai, A.K., Matthews, S.G., Vaivada, T. *et al.* (2017). Nurturing care: promoting early childhood development. *The Lancet* 389: 91–102.
- Daelmans, B., Darmstadt, G.L., Lombardi, J., Black, M.M., Britto, P.R., Lye, S. *et al.* (2017). Early childhood development: the foundation of sustainable development. *The Lancet* 389: 9–11.
- McCoy, D.C., Black, M.M., Daelmans, B. and Dua, T. (2016). Measuring child development in children from birth to age 3 at population level. *Early Childhood Matters* 125: 34–9. Available at: <https://bernardvanleer.org/ecm-article/measuring-development-children-birth-age-3-population-level/> (accessed February 2018).
- Milner, K.M., Kohli-Lynch, M.K., Tann, C.J. and Lawn, J.E. on behalf of the Expert Advisory Group and Saving Brains Platform Team. (2016, unpublished). *Saving Brains Portfolio Impact and Process Evaluation Report*. London: School of Hygiene & Tropical Medicine.
- Radner, J.M., Ferrer, M.V.S., McMahon, D., Shankar, A.H. and Silver, K.L. (2018, in press), Practical considerations for transitioning early childhood interventions to scale: lessons from the Saving Brains portfolio. *Annals of the New York Academy of Sciences*.
- Richter, L.M., Daelmans, B., Lombardi, J., Heymann, J., Boo, F.L., Behrman, J.R. *et al.* (2017). Investing in the foundation of sustainable development: pathways to scale up for early childhood development. *The Lancet* 389: 103–18.
- Saving Brains. (2018). Saving Brains, Grand Challenges Canada. Available at: <http://www.grandchallenges.ca/programs/saving-brains/> (accessed February 2018).
- Shawar, Y.R. and Shiffman, J. (2017). Generation of global political priority for early childhood development: the challenges of framing and governance. *The Lancet* 389: 119–24.
- Shiffman, J., Schmitz, H.P., Berlan, D., Smith, S.L., Quissell, K., Gneiting, U. *et al.* (2016). The emergence and effectiveness of global health networks: findings and future research. *Health Policy & Planning* 31 (Suppl. 1): i110–23.
- UNICEF. (2017). *Early Moments Matter for Every Child*. Available at: https://www.UNICEF.org/media/files/UNICEF_Early_Moments_Matter_for_Every_Child_report.pdf (accessed February 2018).
- United Nations. (2015). *Sustainable Development Goals*. Available at: <http://www.un.org/sustainabledevelopment/sustainable-development-goals/> (accessed February 2018).
- World Health Organization and UNICEF. (2018). *Nurturing Care for Early Childhood Development: A framework for linking survive and thrive to transform human health and potential*. Available at: http://www.who.int/maternal_child_adolescent/child/draft2-nurturing-care-framework.pdf?ua=1 (accessed March 2018).
- Yousafzai, A.K. and Aboud, F. (2014). Review of implementation processes for integrated nutrition and psychosocial stimulation interventions. *Annals of the New York Academy of Sciences* 1308: 33–45.